حديث الانيس

ظهر من تقويم نشر في الولايات المتحدة عن حال المرأة فيها من حيث مشاركتها للرجال انها هناك تكاد تكون والرجل سواء فقد تبين ان فيها ٢٥٣ امرأة مديرة بنك و٤٥ سمسارة و٨٤ مهندسة و١٩٣ حدادة و٣ مهندسات معادن و١٥٤ بحرية وصاحبة زورق و٨٩٧ بوليسة اي مشتغلة بضبط الامن و١٣٢٠ صيادة و٥٥٨٢ حلاقة ولهن في غير هذه المهن دخل كبير يدل على ترجل المرأة في تلك البلاد الى حد قد يفقدها نعومتها وجمالها الانثوي

* * *

في اوربا عادة كثيرة الشيوع بين اهلها وهي اعطاؤهم للخدم شيئاً فوق اثمان ما يشربونه في القهوات والحانات ولكنها واصلة الى الملوك ايضاً وكثيراً ما تكون سبب انفاق كبير يعدل نفس انفاقهم في اسفارهم وغربتهم. فلقد حدثوا عن ملك اسبانيا انه حين كان ضيفاً في قصر ونزر بانكلترا كانت هباته طائلة على الخدم حتى كان لا يمر به يوم دون ان ينالوا منه مئة جنيه بالاقل ذاك عدا المجوهرات والهدايا التي يقدمها لمن هو اعلى منهم ولكن هذا الملك المحبوب كان يزداد كرماً حين زيارته انكلترا وهو خاطب الاميرة اينا قرينته الان ولا غرو في هذا فان المحبة يكون رائدها البذل على كل حالة

ولقد يشيعون عن امبراطور المانيا انه ضنين زائد عن حد الاقتصاد ولكن هذا ليس بصحيح فانهم ذكروا عنه حين زيارته لانكلترا سنة ١٩٠١ انه ترك لخدم القصر النازل فيه ٥٠٠ جنيه ذلك عدا عطايا جمة تركها لمن هم اعلى منهم رتباً ويقال انه حين ترك احد قصور انكلترا ترك فيه الفي جنيه لتوزع على خدمه وفي هذا ما ينافي الشائع عنه حين زيارته سوريا والاراضي المقدسة فانهم ذكروا عنه ضد ذلك ولعله كان باشارة من حكام تلك البلاد حتى يكون عندهم ضيفاً تاماً لا يكلفونه دفع شيء . ومما يذكرونه ايضاً عن عطايا الملوك للخدم ان البرنس لويس نابوليون حين زار انكلترا ونزل في احد قصورها ترك فيه ١٥٠٠ جنيه مع انه لم يمكث الا ثلاث ليال وهو كرم جم

ولكن قيصر روسيا يعد اسرعهم خطى في هذا السبيل فانه ترك في قصر انكلترا حين زارها بقيمة الف جنيه من هدايا الالماس وترك الفي جنيه للخدم وثلاثة الاف تعطى للفقراء عدا هدايا اجل من ذلك بكثير قدمها لرجال البلاط واكابره

ومما يذكرونه عن ملك بلجيكا انه حين يزور باريز ويكون متنكراً كل التنكر فان عطاياه لخدم القهوات والفنادق تكون نامة عليه وفاضحة اياه فانه لا يأكل في فندق ويرضيه طعامه حتى يترك عشرة جنيهات لرئيس الطباخين وجنيهين لكل خادم من الذين يخدمونه وبهذه العطايا كانوا يعرفونه انه ملك ولا يغني عنه تنكره شيئاً

ولقد تذكرنا هذه الحالة بما رووه عن هرون الرشيد فانه كان متنكراً مع وزيره جعفر فمرا بفقير جرى بينهما وبينه حديث، فاعطاه الخليفة هرون

مبلغاً يذكر فلامه جعفر على ذلك وقال له ان هذا الفقير لا يعرف من نحن فلو اعطيته اقل شيء لرآه عظيما فاجابه الخليفة على الفور انه اذا كان لا يعرفنا أفلا نعرف نحن نفوسنا وحقاً لقد صدق وانه هرون الرشيد وكفى

اما هذه العادة وهي اعطاء الخدم شيئاً بعد دفع الثمن فقديمة جداً وربما لا يختص بها شعب دون شعب لانها مما تسوق اليها طبيعة الانسان رحبه للمكافأة ولقد كانت مصر محرومة منها من جهة انها عادة عامة فصارت الان شائعة ولكن احد الكتاب تعرض لها مرة في جريدة المؤيد وقال انه لا يستحسنها فعارضه البعض في ذلك وجرى لها جدال والذي نراه ان الحق للمعترض لان اعطاء الخادم مكافأة بعد اخذه ثمن المشروب مما يجعله كريماً الى حد انه يسرق الحانة او القهوة ليرضي الذين يعطونه المكافأة كأن يزيد لهم مقدار ما في الكأس او يأتيهم بنقل يزيد عن الواجب فيكون بهذا قد سرق مخدومه بعد اخذه الاجرة منه لينال تلك المكافأة وهذا ليس بمحمود وانما تحمد هذه المكافأة في قصور الملوك وحالات اخرى لا يتعمد بها الخادم اصطياد المكافأة بسرقة المحل الذي يخدمه

*
* *

مما يذكرونه عن الاعلانات في الجرائد انها ليست قديمة وانما يرجع تاريخها الى سنة ١٦٦٠ اي الى حين انتشار الجرائد وشيوعها ولعلها تكون قد انشئت من اجلها خاصة ثم صارت بعدها للاخبار والافكار . ولكن الاعلان عن الشيء امر طبيعي فهي لابد انها كانت موجودة من القديم كأن تكتب وتلصق على الحيطان او تكتب على الحيطان مباشرة او تتم بطريق

المناداة كما يجري الان في نعي الموتى ولعل هذا اقدم اعلان وجد على سطح الارض

اما الاعلانات في الوقت الحاضي فتكاد تحسب الكل في الكل ولولاها لما كان من هذه المدنية الا نصفها فقط ولهذا نرى الاعلانات في الجرائد كأنها محك للتجارة فحيث تكثر تكون دليل سعة وحيث تقل تكون دليل عسر وهو ما عرفته اميركا من ازمتها المالية الحاضرة فان اول من تأثر منها كانت الجرائد لانها قللت من الاعلانات فيها ولكنها زادت في انتشار الجرائد نفسها لرغبة الناس في الوقوف على ما تم في الازمة وفي اية درجة هي

*
* *

استنبطوا في اوربا طريقة جديدة تدعى تاكسيمتر وهي مقياس تعرف به المسافة التي اجتازتها المركبة الخيلية لتعطى الاجرة على مقدارها . ولقد انتشرت هذه الطريقة بين اكثر المتمدنين ولكنهم جاؤا الان يقولون انها ليست جديدة وانها كانت معروفة ايام يوليوس قيصر وانها معروفة ايضاً من الصينيين قديماً وهي مزاعم لا دليل عليها اذ الارجح ان الانسان كان جاهلا مثل هذه الامور في القديم ولم يكن راقياً الا بفكره فقط والا فلماذا زالت تلك المكتشفات وهل من برهان على ان المكتشفات الحاضرة ستزول الا ان يكون بانقراض الارض او شيء يشابهه

*
* *

فى اوربا واميركا ضرائب عديدة وبعضها غريب مثل الضريبة على اللحى والشبابيك والمداخن والرجال العزاب ولكن من غريبها الجديد ضريبة سنتها حكومة البرازيل على عنوانات الحوانيت وذلك بالزام اصحابها

ان يضعوا طوابع من الحكومة عليها ومثلها على المنازل المكتوب عليها انها للايجار فانه يجب وضع طابع عليها . ولعل الانفاق الذي لا نهاية له على الشؤون الحربية سيفضي باوربا واميركا الى اختلاق ضرائب لا تخطر للان على عقل بشر حتى يصير الجباة اكثر عدداً من المجبي منهم

*
* *

يروى عن بعض الحيوانات انها تحتمل البرد الى حد لا يصدق ومن ذلك نوع من الجرذان فانه ينام نوماً عميقاً بدون اكل مدة طويلة والجليد يكتنفه من كل جانب على حين تكون سائر الحيوانات المتغذية وهي تكاد تموت برداً ويروى عن الارانب وهي من ذوات الدم الحار انها تحتمل البرد الى ابعد حد حتى ان منها ما حبس بين الجليد مدة اثنتي عشرة ساعة حتى اذا اطلقت اسرعت الى طعامها كأن لم يلم بها شيء مما كان

اما حيوانات المناطق الباردة فلا غرابة في احتمالها البرد المفرط ولكن الذي يذكر عن الخراف في المناطق المعتدلة انها تعيش اياماً مدفونة تحت الجليد ثم تأتي المعيز بعدها في الاحتمال وبعدها الخنازير اما الطيور فاشد احتمالا بسبب ريشها اولاً ولكون درجة حرارتها تزيد سبعاً عن حرارة الانسان ثانياً واما السمك فقد يكون اشد احتمالا للبرد من كل حي لان الماء قد يتجمد عليه حتى لا يستطيع حراكاً ولا غذاء وهو يبقى على ذلك اياماً حتى اذا انحل الجليد عنه سبح ورجع الى حاله الاولى اما الانسان فقد يكون اشدها كلها احتمالا للبرد ما عدا السمك وذلك لفرط حيله وتفننه في طرق الاستدفاء فهو يشاهد في اقاصي المناطق المتجمدة حيث لا يعش حي سواه كما يشاهد في اشد المناطق حرارة حيث يذوب دماغ الضب من شدة

الهجير وذلك لان الطبيعة قد صارت بين يدي هـذا الانسان المتمرد فهو يصرفها كما يشاء ولولا التقى لقلنا جلت قدرته

***

نقلنا فيما مضى شيئاً يتعلق بطريقة الاوربيين في المدارس وهي سؤالهم التلامذة الاسئلة المختلفة ليعلم منها مقدار تفاوتهم في الاميال والمطالب ونحن الان ننقل امراً اخر يتعلق بالنساء خاصة وهو مراقبتهن دون سؤالهن ليعلم ما يرغبن فيه من العلوم

فقد روت احدى الصحف انه روقب في باريز النساء اللواتي يتعلمن شتى العلوم والفنون في مدارسها العالية وكان عددهن ٥٤٦ امرأة فظهر ان اكثر هذا العدد ميال الى تعلم الاقتصاد السياسي والموسيقي وسائرهن متعلقات بسائر العلوم على نسب متعادلة ولكن من مستغرب ما ذكر عن ثلاث منهن انهن مولعات باللغة العربية وانهن يتعلمنها بجهد ولكن لم يذكر سبب ذلك ولعله لعلاقة فرنسا بالامـة العربية من جهة الجزائر وتونس . ولكن الاغرب من ذلك انه شوهدت واحدة بين ذلك العدد الكثير وهي تتعلم ركوب المركبة السيارة وكيفية اقتيادها مع ان سوق النساء للمركبات في باريز قد امتنع كما ان الشرطة في برلين قد منعته منعاً لما قـد ثبت من عدم لياقة النساء لهذه المهمة

***

تفنن الاوربيون في طرق الزواج تفنناً غريباً وقد كان في جملة ذلك ان تخطب المرأة الرجل بدلا من ان يخطبها كما هو المأثور ولكنهم قد تجادلوا في ذلك فوجدوا ان خطبة المرأة للرجل احق بالتقدم واهم وذلك لان المرأة

اصدق فراسة في الرجل من الرجل في المرأة فهي حين يقع انتخابها عليه تكون اكثر منه ادراكا بانها توافقه ويوافقها على خلاف حاله فانه يخطب المرأة وفراسته فيها ضعيفة لان احساسه من هذا الوجه اضعف من احساسها وانتقاده اقل ولكن هذا اذا صدق فانه لا يصير عادة ويشيع وذلك لان المرأة اذا كانت اصدق من الرجل فراسة كما يقولون فانها في مثل هذه الاحوال اكثر منه انفة واعتداداً فاذا اتفق ان رد رجل خطبة امرأة فان وقع ذلك يكون شديداً عليها بخلاف حاله لو ردت خطبته فان ذلك يكون يسيراً لديه اما لتتابع هذا الوقع على الرجال واما لان وجهه ابرد من وجهها وهو الاصح ....

*
* *

يعلم القراء ان صور اليد التي خطها عظماء المصورين الماضين تسوى الان عشرات الوف من الدنانير وليس ذلك لنفاستها فقط بل لانها قديمة ايضاً . وقد حدثوا عن مورغان الغني الاميركي العظيم انه اشترى من سنوات قليلة من اوربا بعضاً من هذه الصور بقيمة مليون جنيه واراد ادخالها الى بلاد اميركا فتقاضته المكوس هناك ستمئة الف جنيه رسماً عليها باعتبار المئة ستين من قيمة الشيء ولذلك قيل انه اضطر لان يهبها الى متاحف البلاد لكي ينجو من هذا الرسم الباهظ

ولقد يظن مع هذا ان اصحاب هذه الصور البديعة كانوا على رغد من العيش وان صورهم في ازمانهم كانت تباع على شيء من هذا القياس ولكن الحقيقة تبعد عن هذا الظن بمراحل . فلقد خبروا عن ميشيل انجلو المصور

الايطالي العظيم انه حين كان يصور معركة بيزا لم تكن اجرته في الشهر الا ثمانية جنيهات فقط وكذلك كان مساعده ليوناردو

ولقد كان كوريجيو المصور الماهر اقل حظا منهما بكثير فانه خط صورة المسيح في البستان فما اخذ اجرة عليها اكثر من جنيهين . بل لقد كان البرت دورر اقل الجميع حظا لانه لم يكن يأخذ الاجرة نقوداً بل قمحاً احياناً واحياناً احذية ونحوها . وقد ذكروا عن سوى هؤلاء شيئاً كثيراً يدل على مقدار صناعة التصوير في ذاك الزمن ونفاستها الان . ولعل اولي العلم والشعر عندنا كانوا اشقى من هؤلاء حظا لان واضع حكايات الف ليلة وليلة التي يرتزق منها الان الوف في اوربا وسواها ربما لم يؤجر عليها بشيء ولم تكن لها قيمة تذكر في زمانه وكذلك واضع قصة عنترة وامثالهما كثيرون ممن يصدق فيهم قول اليازجي الكبير

لا يعرف القوم الفتى الا متى مات فيعطى حقه تحت البلى

على انه قد يوجد كثيرون ماتت حقوقهم تحت البلى كما ماتوا اذ لم يدر بهم احد في حياتهم ولا بعد مماتهم لاسباب شتى فيا للاسف

* * *

اشرنا فيما مضى الى شيء من بلايا هذا الجرذ الخبيث الذي يسبب الطاعون ولا يعف عن الصابون وقد قرأنا الان عن شدة فتكه في بلاد الدانمرك انه يتلف فيها كل سنة بما تبلغ قيمته اربعمئة الف جنيه وهو مقدار لا تكاد تتلفه دودة للقطن في اقليم عظيم . وقد ظهر ان القوم قد عقدوا له جمعيات هناك كما ذكرنا في مقالنا السابق عنه وانهم الان يطاردونه مطاردة العدو للعدو ويتعمدون ابادته بكل وسيلة وقد بلغ عدد ما قتلوه منه في ثمانية

عشر اسبوعاً ١٠٣ الاف جرذ انفقوا في سبيلها ٧٣٦ جنيهاً وهو مقدار لا يذكر في جنب ذلك التلف الشديد

وقد ظهر ان زوجي الجرذ اذا تركا على دعة مدة سنة كانت اعقابهما ثمانمئة جرذ ولعل هذه المذابح تتوالى على هذا النوع في كل مكان حتى تقرضه من بين المتمدنين وينقرض على اثره هذا الطاعون اللعين

***

اذا صح ما يقال من ان الامم والممالك تنقرض انقراض الاسر فالارجح ان امة فرنسا تكون اسبق الجميع الى الانقراض فلقد دل التقويم الاخير الذي صدر عن عدد سكانها انهم بلغوا في هذه السنة ٣٩ مليوناً و٢٥٠ الفاً وقد كانوا من اربع سنوات ٣٨ مليوناً فصاروا في السنة الماضية ٣٩ وصاروا الان في العدد المتقدم وهذا تناسل بطيء للغاية يقابله طلاق مفرط للغاية فانه قد بلغ فيها ١٠٥٧٣ طلاقاً في حين الزواج لم يكن الا ٣٠٠ الف زواج فيكون الطلاق بنسبة واحد الى عشرين وهو داء لا علاج له على ما يظهر لان المدنية التامة انما هي عدوة الزواج بصورته الحاضرة وبعبارة اخرى ان الزواج عبودية تامة والمدنية حرية تامة فكيف يجتمعان

***

شاعت العزوبة في اوربا الى حد صارت به كأن اتباعها حزب من الاحزاب ولذلك عقدوا لها مؤتمراً خاصاً في بادوا من اعمال ايطاليا حتى قررت الحكومة مطاردة اعضائه والتضييق عليهم لانهم انما يكرهون الزواج من طرقه الشرعية المألوفة واما من سواها فلا . فهم بهذا يكرهون الزواج التقييدي المعتبر مقدساً او شرعياً ولذلك كان من حق الحكومات ان ترى

طريقة يرضى عنها كل فريق لان طريقتها الحاضرة على ما يظهر لم تعد توافق هذا العصر حتى ان المسلم الذي ابيح له الطلاق وتعدد الزوجات قد صار غير راض عن حالة الزواج الحاضرة لان هذا الزواج بمطلق احواله قد صار منافياً لرغائب العصر الحاضر ولا بد لشيوعه من ان يكون بسيطاً جداً قليل التكاليف الى آخر حد

* * *

وصل الاوربيون الى نهاية ما امكنهم من الترف والنعيم في منازلهم وفنادقهم ومواضع قيامهم وقعودهم وحلهم وسفرهم حتى صيروا قطرات البر وبواخر البحر وهي كأنها مدن سائرة بهم لا ينقصهم فيها شيء ولكن الذي ظهر ان مسألة التمثيل في قطرات الحديد مما سهوا عنه ولذلك قاموا الان يحاولونه بتخصيص غرفة طويلة في القطار تسع عدداً كبيراً من المشاهدين والممثلين وذلك لكي يتاهى المسافرون في الاسفار الطويلة بالخصوص ولا سيما اثناء الليل ولعلهم بعد ذلك يتزوجون في القطرات ويهيئون فيها من اسباب النعيم ما لم يكن يخطر ببال

﴿ خطرات افكار ﴾

اذا عدَّ الحب حلماً ساراً عد الزواج الساعة المنبهة

اكثر الناس لطفاء لان اللطف لا يكلف مالاً

تبسم السعادة للقليلين ولكنها تضحك على الكثيرين